ثالثا: النقد الأدبي في صدر الإسلام

كان عصر البعثة حافلا بالشعر، فيّاضا به، وإن ضعُف في بعض نواحيه، فالخصومة بين النبي صلى الله عليه وسلّم وأصحابه من ناحية، وبين قريش والعرب من ناحية أخرى كانت عنيفة حادة لم تقتصر على السيف بل امتدّت إلى البيان والشعر، وإلى المناقضات بين شعراء المدينة وشعراء مكة، وغير مكة من الذين خاصموا الإسلام وألّبوا العرب عليه.

وتوظيف الفعالية الفنية للشعر في نصرة الدعوة أمر واضح في كثير من مواقف النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم، فقد دعا _ عليه الصلاة والسلام _ شعراء الإسلام إلى هجاء المشركين والرّد على شعرائهم، وعدّ ذلك ضربًا من الجهاد.

وتذكر الروايات أنّه صلى الله عليه وسلّم قال للأنصار: " ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم " فقال حسّان بن ثابت: أنا لها. فقال: " كيف تهجوهم وأنا منهم؟" فقال: إنّي أسُلُّك منهم كما تُسلّ الشعرة من العجين. فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة.

وفي إطار استخدام الشعر سلاحا من أسلحة الدعوة فاضل المصطفى عليه الصلاة والسلام بين شعراء الدعوة من وجهة تأثير شعر كل منهم في المشركين، فقد جاء في الأثر: " أمرت عبد الله بن رواحة فقال أحسن، وأمرت كعبَ بن مالك فقال و أحسن، و أمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى" فشعر حسان أبلغُ تأثيرا في نفوس المشركين من أشعار صاحبيه، فالهجاء الذي أيّده الرسول صلى الله عليه و سلّم هو الهجاء الموجّه إلى المشركين، الذي يرمي إلى نزع الشرك من النفوس، و الفخر الذي طرب له عليه الصلاة و السلام فخرٌ بقيم الإسلام، و منافحة عن نبي الإسلام و دين الإسلام و المدح الذي اهتزّ له النبي صلى الله عليه وسلّم هو المدح الذي يصور الحقيقة لا يتجاوزها، فقد ورد أنّ النبي عليه الصلاة والسلام قال لحسان: " هل قلت في أبي بكر مثلا؟ قال: نعم، قال: قُل و أنا أسمع، فقال حسان:

وثانِي اثنينِ في الغار المنيف وقَد طاف العدوُّ به إذ يصعدُ الجبلاَ

وكان رِدفَ رسول الله قد علموا من البريّة لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال: " صدقت يا حسان هو كما قلتَ". وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله: " أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ"

وكان صلى الله عليه وسلّم يُعجب بقول طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

ويقول: إنها كلمة نبي. وبقول عدي بن زيد:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

ويقول صلى الله عليه وسلم: " كلمة نبي ألقيت على لسان شاعر".

1_ نقد الرسول صلى الله عليه وسلمّ:

يستخلص مما تقدّم أنّ خير الشعر عند الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ما صوّر حقائق الإسلام والإيمان وعبّر عن حسن الاعتقاد ويمكن تلخيص نظرته النقدية في ثلاثة أمور:

1-1-نقد **المضمون**: ويتضح من خلال ما ورد من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وتعليقاته على الشعر والشعراء، باستحسان أو استهجان أنها قد ركزت على مضمون الشعر ومادته، وما فيه من قيم وأفكار من ذلك أنه أُنشد صلى الله عليه وسلم قول سُحيم:

الحمد لله حمدًا لا انقطاع له فليس إحسانه عنّا بمقطوعٍ

فقال: أحسن وصدق، فإنّ الله ليشكر مثل هذا، وإن سدّد وقارب إنه لمن أهل الجنة، وسمع صلى الله عليه وسلم رجلا ينشد:

إني امرؤ حميري حين تنسبني لا من ربيعة آبائي ولا مُضــر

فقال له: " ذلك ألأم لك وأبعد من الله ورسوله". فمن الواضح أن الرجل يفخر فخرا جاهليا، ومبعثه عصبية قبلية نهى عنها الإسلام، فنبّهه النبي صلى الله عليه وسلّم إلى أنّ الفخر الحقيقي ينبغي أن يكون بما يقرب من الله ورسوله.

1-2-نقد **الشكل**: وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم أقوال حددت بعض الملامح لفن القول، وهي ملامح لا تخص الشعر وحده، بل يشترك فيها الشعر والنثر، من ذلك نهيه عن التكلف والمبالغة في قوله: " هلك المتنطعون". وقد كان صلى الله عليه وسلمّ يتخيّر في خطابه ويختار لأمته أحسن الألفاظ وأجملها، وألطفها، وأبعدها عن ألفاظ أهل الجفاء والغلظة، وكان يميل صلى الله عليه وسلم إلى الإيجاز، وعدم التّزيد والتطويل، وذلك من الأسباب التي أدّت إلى إعجابه بقول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل.

1-3-**الحكم على الشعراء**: كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمتلك حاسة نقدية متميزة، وهو سيد الفصحاء والبلغاء، وقد كان عارفا بمكانة الشعراء وأقدارهم، ومن ذلك ما ورد من أحكامه النقدية الدقيقة على شعراء الدعوة الإسلامية الثلاثة، وإدراكه لشاعرية وتفوّق حسان

بن ثابت، ومن ذلك أيضا حكمه على امرئ القيس، فقد أقرّ بشاعريته _ على شركه وعهره _ وسماه قائد الشعراء، أو صاحب لواء الشعراء.

2_ نقد عمر بن الخطاب:

لقد أدرك عمر رضي الله عنه أنّ الشعر علم العرب الصحيح، أو الذي توافر له قدر من الصحة أكثر من غيره، ويبدي عمر خبرةً واسعة بالشعر، تتناول أقدار الشعراء وطرائقهم في التعبير، ومقاصدهم في القول، وروائع أشعارهم، فامرؤ القيس عنده أوّل الشعراء، فجرلهم ينابيع القول و فتح لهم أبواب المعاني و إن كان في معانيه ما فيها من القبح، فقد سأله العبّاس بن عبد المطلب عن الشعراء فقال: " امرؤ القيس سابقهم، خسف لهم عين الشعر"، وأشعر الشعراء عنده زهير بن أبي سلمى لأنه: لا يعاضل بين الكلام ولا يتتبّع حوشيّه، ولا يمدح الرجل إلاّ بما فيه". فزهير أشعر الشعراء لأنه لا يداخل بين مكوّنات العبارة، ولا يستخدم غريب الألفاظ وهو صادق في مدحه.

وترتكز النظرة النقدية لعمر رضي الله عنه على معايير **موضوعية، ودينية وخلقية**. يهدف من خلالها إلى التأكيد على الوظيفة التربوية للشعر في حياة المسلمين ومن ذلك موقفه من الحطيئة الذي جيء به إليه متّهما بهجاء الزبرقان بن بدر حيث يقول:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي

وفيه نسى عمر أنه الأديب الذّواقة الراوية، ولم يذكر إلاّ أنّه القاضي الذي يدرأ الحدود بالشبهات فأمر بسجن الحطيئة بعد التأكد من حسان بأنّ الشاعر أوحش في هجاء الزبرقان.

وخلاصة القول أنّ النقد الأدبي في صدر الإسلام أخضع النصوص الشعرية إلى المعايير الدينية والأخلاقية، فما اتّفق مع مبادئ الدين والأخلاق فإنّه يستحسن وما خالفها فيُرفض ويُستهجن.